عيّنة من الكتاب

(للتصفح والاطّلاع)

بسم الله الرحمن الرحيم

شيرلوك هولمز

مغامرة الجنديّ الشّاحِب

وثلاث قصص أخرى

تأليف: آرثر كونان دويل

ترجمة: رفيف غدّار

تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لأربع من قصص
شيرلوك هولمز المنشورة أول مرة عام ١٩٢٥/١٩٢٦

The Adventure of the Three Garridebs
The Adventure of the Illustrious Client
The Adventure of the Three Gables
The Adventure of the Blanched Soldier

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا
الكتاب بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو
إلكترونية أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الثانية
٢٠٢٠

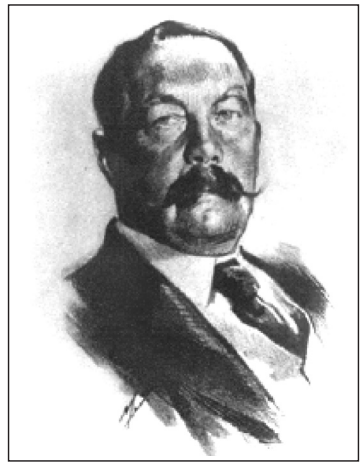

آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في سكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجرّاحُ الشهير الدكتور جوزيف بِلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جرّاحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطَرَّته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتْسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه

إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلّات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص، وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري. وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة في اللون القِرْمِزي» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجَّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

واحدة من تلك الحوادث كانت عن رجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث بدَّل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلَّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمَّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى

سكتلندا تغادر محطة كِنْغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوَّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.

عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور آرثر كونان دويل في حرب البُويِر (التي دارت في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجرّاحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولَقَبها «سيرْ» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

توفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

شيرلوك هولمز وعالَمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهرَ الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرةَ مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بِلْ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بِلْ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومِهَنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرِّح من الجيش حديثاً، وقد عدتَ لتوّك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل".

وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من

هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالَمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحدّدها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨، وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (شارع بيكر، ٢٢١ب) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته

وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطّلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِيةُ القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو، المحقق الشهير الذي ابتكرته أغاثا كريستي). وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وحصل على شهادته الجامعية في الطب سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش وشارك في الحملة الأفغانية، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية عام ١٨٩٣ «قَتل» دويل بطلَه شيرلوك هولمز، لكنه واجهَ احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جِفْسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة في اللون القِرْمِزي»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكَد يُحِسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، هي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصيةَ هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

في السنة التالية بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو) ١٨٩١، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخَ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشُغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتَي عشرة، نُشر

آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «مذكرات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتَي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرّير عند شلالات رايشِنْباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة، وعنوانها «المشكلة الأخيرة»، في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسّك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يَحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على إعادة إحياء شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الفارغ» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد، فقد تبيّن أنه لم يُقتَل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الفارغ) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد التبت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كولْيِرْز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشّاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة

«عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة روايةَ شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز: الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣. ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥) التي حازت على إعجاب النقّاد في كل الأوقات. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومَنْسيّة ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب غير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من مؤلفات نحو مئة وستين، منها ستّون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالِم اسمه البروفِسور تشالنجر

(أشهرها رواية «العالَم المفقود») ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *

رسّام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ قصص هولمز منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بَلْوَر صورة شيرلوك هولمز وطبَعَها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتَي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأً في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الستّ الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيَته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في

عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زيّنت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسّامين آخرين، فشارك في رسم السلسة الجديدة «ذكريات شيرلوك هولمز: الظهور الأخير» كل من وُلْتَر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وتشارلز هَليدي وأَلِكْ بول وجوزف سمبسون وهنري بروك. أما السلسلة الأخيرة (قضايا شيرلوك هولمز) فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم هَوارد إلْكوك وفرانك وايْلز وألفرِدْ جِلبرْت.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند». أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كولِيرْز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردرِك دورْ ستيل، ومنهم جوزف فريدرتش ورِتشارد غوتشمت ووليَم هايْد.

* * *

قضايا شيرلوك هولمز
(٥)

رجال غاريدِبْ الثلاثة

نُشرت للمرة الأولى في مجلة «سْتراند» الشهرية
في عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥

ربما كانت حادثة مضحكة وربما كانت مأساة، فقد كلّفَت رجلاً عقله وأسالت دمي وغيّبَت رجلاً ثالثاً في السجن! ومع ذاك فقد كان فيها عنصر هزلي بالتأكيد. سأترك لكم الفرصة لتحكموا بأنفسكم بعد الاطلاع على تفاصيل القصة.

أذكر التاريخ جيداً، فقد كان الشهر نفسه الذي رفض فيه هولمز تقديم خدماته لمؤسسة تعمل بالفروسية، وهو أمر قد أتحدثُ عنه يوماً ما، أما الآن فإنني أشير إليه بشكل عابر فقط لأنني -بحكم كوني شريكاً وأمين أسرار- أجد نفسي حريصاً على الابتعاد عن أي تهوّر أو حماقة بكشف أمر لا يجوز كشفه.

كان ذلك في نهاية شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٠٢، أي بعد فترة وجيزة من انتهاء الحرب في جنوب أفريقيا. كان هولمز قد أمضى في السرير عدة أيام، وكانت هذه هي عادته من وقت لآخر، ولكنه خرج في ذلك الصباح حاملاً بيده رسالة وفي عينيه الرماديتين الصارمتين بريق من الإثارة! بادرني قائلاً: إليك فرصة لتجني بعض المال يا صديقي واطسون. هل سمعت قط باسم عائلة غاريدِبْ؟

أقررت بأني لم أسمع، فقال: حسناً، إذا وجدتَ شخصاً بهذا الاسم فسوف تكسب نقوداً.

- لماذا؟!

- آه، إنها قصة طويلة، وغريبة أيضاً. سيكون الشخص هنا عمّا قريب وسوف نسمع منه، لذلك لن أفتح الموضوع إلى حين قدومه، أما الآن فكل ما يهمك معرفته هو هذا الاسم الذي نبحث عنه.

كان دليل الهاتف بجانبي على الطاولة، فتناولته وقلبت صفحاته في بحث يائس، ولدهشتي وجدت ذلك الاسم الغريب في الموضع الذي يُفترَض وجوده فيه، فأطلقت صيحة انتصار قائلاً: هذا ما تريده يا هولمز، ها هو!

تناول هولمز الدليل من يدي ثم قال: ناثان غاريدب، رقم ١٣٦ شارع ليتل رايدر. أنا آسف لتخييب أملك يا عزيزي واطسون، ولكنه الرجل نفسه والعنوان هو ذاته المدوَّن في رسالته. نريد شخصاً آخر من العائلة نفسها.

دخلت السيدة ميسون وهي تحمل بطاقة. أخذتُها منها وألقيت عليها نظرة سريعة، ثم صحت دَهِشاً: حقاً! هذا هو، فاسمه الأول مختلف. جون غاريدب، مستشار قانوني، مورفيل، كنساس، الولايات المتحدة الأمريكية.

ابتسم هولمز وهو ينظر إلى البطاقة ثم قال: أخشى أن عليك أن تبذل جهداً أكثر يا واطسون، فهذا السيد موجود ضمن معلوماتنا بالفعل، مع أنني لم أتوقع أن أراه هذا الصباح. ولكنه سيخبرنا -على أي حال- بكثير مما نريد معرفته.

بعد دقيقة كان السيد جون غاريدب في الغرفة. كان رجلاً قصيراً قوياً ذا وجه مستدير نَضِر حليق يُعتبر سمة مميزة لمعظم

رجال الأعمال الأمريكيين، وقد بدا سميناً وطفولياً بعض الشيء، بحيث تنطبع في ذهن من يراه صورةُ شاب ذي ابتسامة عريضة مرسومة على وجهه، ولكن عينيه كانتا آسرتين! نادراً ما رأيت في رأس أي إنسان عينين تنمّان عن حياة أكثر إجهاداً، فقد كانتا على قدر كبير من السطوع والتنبه وسرعة الاستجابة لكل تغير في الفكر. كانت لهجته أمريكية، ولكنها غير مصحوبة بأية غرابة في النطق.

سأل وهو ينقل نظره بيننا: السيد هولمز؟ آه، أجل، إن صورك لا تختلف عنك يا سيدي إذا جاز التعبير. أعتقد أنك استلمت رسالة من شخص من نفس عائلتي، السيد ناثان غاريدب، أليس كذلك؟

قال هولمز: تفضل بالقعود، سيكون لدينا الكثير لنناقشه كما أظن.

ثم تناول الرسالة وقال: بالطبع أنت السيد جون غاريدب الذي ورد ذكره في هذه الوثيقة، ومن المؤكد أنك عشت في إنكلترا لبعض الوقت.

رد قائلاً: ما الذي يجعلك تقول هذا يا سيد هولمز؟

لحظت ارتياباً مفاجئاً في عينيه الحساستين، في حين أجاب هولمز: هندامك كله إنكليزي.

اصطنع السيد غاريدب ضحكة وقال: لقد قرأتُ عن حِيَلك يا سيد هولمز، ولكني لم أفكر قط أنني سأكون موضوعاً

لها. ما الذي أوحى إليك بهذا في هندامي؟

– قَصّة كتف معطفك، مقدم حذائك... هل بإمكان أحد أن يشك في هذا؟

– حسناً، حسناً؛ لم تكن عندي فكرة أنني أبدو إنكليزياً لهذه الدرجة. كان العمل هو ما أتى بي إلى هنا قبل حين من

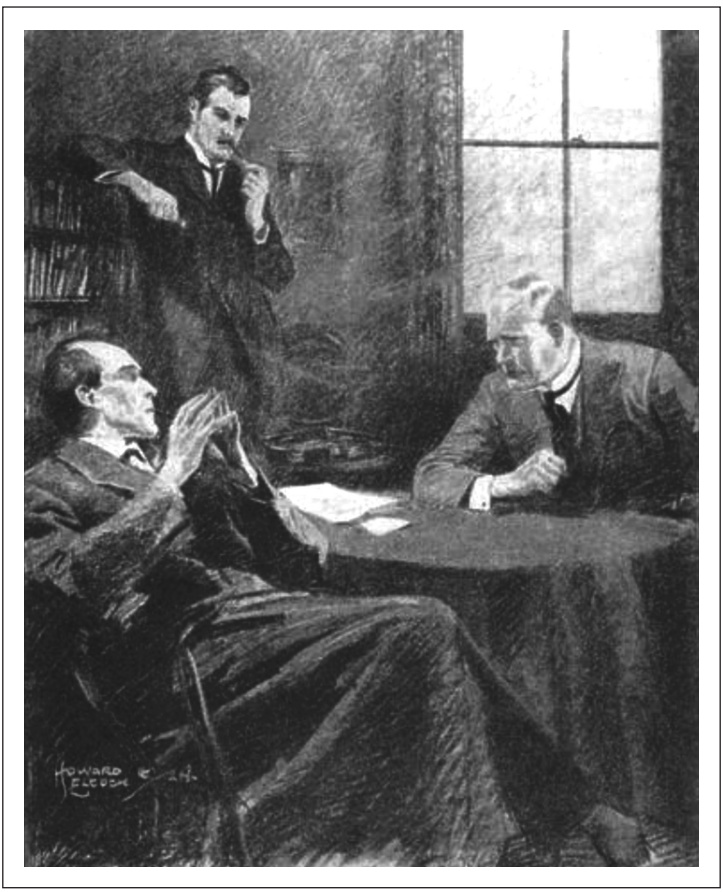

رسم هوارد إلْكوك (١٩٢٥) Howard Elcock (1925)

الزمن، ولهذا فهندامي إنكليزي بأكمله كما تقول. ولكن أعتقد أن وقتك له ثمنه، ونحن لم نلتقِ لنتحدث عن قَصّة ملابسي. ما رأيك بأن نناقش الورقة التي تمسكها في يدك؟

يبدو أن هولمز أزعج زائرَنا بطريقة ما، فقد ارتسم على وجهه تعبير أقل لطفاً مما كان عليه. رد هولمز بصوتٍ مهدئ: صبراً، صبراً يا سيد غاريدب، سيخبرك الدكتور واطسون أن هذه الملاحظات التي أقدمها تُثبت في النهاية أهميتها في إلقاء بعض الضوء على الموضوع. لماذا لم يأتِ السيد ناثان غاريدب معك؟

سأل زائرنا وقد انتابه غضب ثائر مفاجئ: لماذا أدخلك في هذا الأمر أصلاً؟ ما علاقتك أنت به؟ إنه عمل بحت بين سيدَين، ويُصرّ واحدٌ منهما على استدعاء شرطي سري! لقد التقيت به هذا الصباح فأخبرني بهذه الخدعة الحمقاء التي لعبها عليّ، وهو السبب الذي جاء بي إلى هنا، فإنني أشعر بالاستياء.

قال هولمز: ليس في الأمر تقليل من قدرك يا سيد غاريدب، فقد كانت مجرد حماسة منه ليبلغ هدفك، الهدف الذي هو بنفس الأهمية لكما كليكما حسبما أفهم. هو يعرف أن لي وسائلي في الحصول على المعلومات، ولذا كان طبيعياً تماماً أن يستعين بي.

انفرجت أسارير وجه زائرنا الغاضب وقال: حسناً، اختلف الوضع الآن. لقد ذهبت لرؤيته هذا الصباح وأخبرني

أنه أرسل للاستعانة بشرطي سري، فسألته عن عنوانك وجئت فوراً. لا أريد تدخّل الشرطة في موضوع خاص، ولكن إن كنت ستكتفي فقط بمساعدتنا في العثور على الرجل فلن يكون في ذلك ضرر.

رد هولمز: في الحقيقة سيكون هذا هو عملي بالضبط. والآن يا سيدي بما أنك هنا فمن الأفضل أن نسمع الحكاية منك بوضوح، فصديقي هذا لا يعرف شيئاً عن التفصيلات.

تفحصني السيد غاريدب بنظرة غير ودية تماماً ثم سأل: أمن الضرورة أن يعرف؟

- في العادة نحن نعمل معاً.

بدأ يحكي قائلاً: حسناً، لا سبب يستدعي بقاءه سراً. سأعطيك الحقائق مختصَرة بقدر ما أستطيع. لو كنتَ من كنساس لَما كنتُ بحاجة لأن أوضح لك مَن هو ألكساندر هاملتون غاريدب، فقد كسب أموالاً طائلة في بورصة شيكاغو، ثم أنفقها في شراء مساحات واسعة من الأراضي توازي مساحة مقاطعة من مقاطعاتكم، تمتد جميعها على طول نهر أركنساس غرب فورْت دودج، وهي تتنوع بين المراعي والأراضي الزراعية والأراضي الغنيّة بالمعادن والأخشاب... كلها من النوع الذي يجلب المال لمالكه.

لم يكن له نسيب أو قريب، ولو كان له فلم أسمع عنه قط، ولكنه أُصيبَ بنوع من الاعتزاز باسم عائلته الغريب، وهو الأمر الذي جمعنا معاً. كنت أعمل في مجال القانون في

توبيكا، وفي يوم من الأيام زارني الرجل العجوز وهو مبتهج لأقصى حد لالتقائه برجل آخر يحمل نفس اسم عائلته. كان ذلك الاسم هوَسَه وموضوعه المفضل، وقد عزم على البحث لمعرفة إن كان في العالَم آخرون يحملون الاسم نفسه، قال لي: ابحث عن شخص آخر.

أخبرته بأني رجل مشغول ولا يمكنني أن أقضي حياتي مسافراً حول العالَم باحثاً عن رجال من عائلة غاريدب، لكنه قال: ولكن هذا هو ما ستفعله بالضبط إذا سارت الأمور كما خططتُ لها.

ظننت أنه يمزح، ولكن كلماته حملت الكثير من المعاني كما قُدِّر لي أن أكتشف فيما بعد، فقد مات بعد لقائنا بسنة وترك خلفه وصية غريبة. كانت أغرب وصية حُفظت في ملفات ولاية كنساس، فأملاكه ستقسم وفقاً لِما ورد فيها إلى ثلاثة أقسام، أحصل أنا على قسم منها تحت شرطٍ واحد، أن أجد رجلين آخرَين من عائلة غاريدب ليقتسما الباقي. وهذا يعني خمسة ملايين دولار لا تنقص سنتاً لكل واحد منا، ولكن لا يمكن أن نضع إصبعاً عليها حتى نصطفّ ثلاثتُنا معاً.

كانت فرصة هائلة جداً جعلتني أتخلى بكل بساطة عن مهنتي في القانون وأبدأ رحلة البحث عن رجال من عائلة غاريدب. ما من أحد في الولايات المتحدة كلها بهذا الاسم، فقد بحثت في كل مكان بمشط ناعم الأسنان، ولم أتمكن من العثور على أي غاريدب قط. ثم بحثت في إنكلترا، وبالطبع

وجدت الاسم في دليل الهاتف. ذهبت إليه قبل يومين وشرحت له الأمر، وهو مثلي، رجل وحيد. لديه بعض الأقارب من النساء، ولكن لا رجال. الوصية تشترط ثلاثة رجال، وهكذا ترى أنه لا يزال لدينا مكان شاغر، وإذا كان بمقدورك أن تساعدنا في ملئه فنحن على استعداد تام لدفع أتعابك.

قال هولمز وهو يبتسم: حسناً يا واطسون، لقد قلت لك إنها قصة غريبة التفاصيل، ألم أفعل؟

ثم قال مخاطباً الرجل: حسبتُ -يا سيد غاريدب- أن أبسط طريق كان عليك اتباعه هو الإعلان في أعمدة الإعلانات الشخصية في الصحف.

- فعلت ذلك يا سيد هولمز، ولا جواب.

- عجباً! إنها مشكلة صغيرة في غاية الغرابة، سوف أتابعها في وقت فراغي. بالمناسبة، أمر ملفت للنظر أن تكون قد جئتَ من توبيكا، فقد اعتدت على مراسلة شخص هناك. لقد توفي منذ وقت قريب، اسمه الدكتور ليساندر ستار، العجوز الذي كان عمدة عام ١٨٩٠.

- الدكتور ستار العجوز الطيب؟ لا يزال اسمه يحظى بالتكريم. حسناً يا سيد هولمز، أفترضُ أن كل ما بوسعنا عمله هو إعلامك بمدى ما نحرزه من تقدم. أظن أنك ستسمع منا خلال يوم أو اثنين.

بهذا الوعد انحنى الأمريكي لتحيتنا وغادر الغرفة، في

حين أشعل هولمز غليونه وجلس لبعض الوقت وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة، حتى سألته أخيراً: حسناً، وماذا بعد؟

- أنا أتساءل يا واطسون، فقط أتساءل.

- عن ماذا؟

سحب هولمز غليونه من بين شفتيه وقال: كنت أسأل نفسي يا واطسون عن هدف هذا الرجل من إخبارنا بكل ذلك الهراء المعقَّد من الأكاذيب. لقد كنت على وشك توجيه هذا السؤال له، ففي بعض الأحيان يكون الهجوم المباشر الموجِع هو السياسة الفُضلى! ولكني فضّلت أن أتركه على اعتقاده بأنه خدَعنا، فها هو ذا رجل بمعطف إنكليزي مهترئ عند الكوع وبنطال منتفخ عند الركبة، ومع ذلك فإنه -وفقاً لهذه الوثيقة ولروايته الشخصية- أمريكي قروي حط رحاله مؤخراً في لندن. إنه قطعاً لم ينشر أي إعلان في أعمدة الإعلانات الشخصية، فأنت تعلم أنني لا أفوّت شيئاً منها لأنها مصيدتي المفضّلة للإيقاع بالطيور! فما كان قط ليفوتني طاووس مثله. كما أنني لم أعرف قط الدكتور ليساندر ستار من توبيكا! اختبِرْه كيفما شئت وستجده كاذباً. أعتقد أن الرجل أمريكي فعلاً، ولكنه اكتسب اللهجة الإنكليزية من سنوات قضاها في لندن. ما لعبته إذن؟ وما الدافع خلف ذلك البحث المنافي للعقل عن رجال ثلاثة من عائلة غاريدب؟ الأمر يستحق اهتمامنا، فحيث إن هذا الرجل وغد (وهو بالتأكيد وغد معقد بارع) فعلينا أن

نكتشف إن كان الآخر الذي راسلَنا محتال أيضاً. اتصل به يا واطسون.

اتصلت به فسمعت صوتاً واهناً مرتعشاً في الجهة الأخرى من الخط يقول: أجل، أجل، أنا ناثان غاريدب. هل السيد هولمز موجود؟ أرغب في حديث قصير معه لو سمحت.

تناول صديقي سماعة الهاتف وسمعت الحوار المختصر

رسم هوارد إلْكوك (١٩٢٥) Howard Elcock (1925)

المعتاد: أجل، لقد كان هنا، أفهم أنك لا تعرفه. منذ متى؟ يومين فقط؟ نعم، نعم، بالطبع هو أمر غريب جداً. هل ستكون في البيت هذا المساء؟ أفترضُ أن غاريدب الآخر لن يكون موجوداً. جيد جداً، سنأتي إذن، فإنني أفضّل التحدث معك دونه. سيأتي معي الدكتور واطسون. أفهم من رسالتك أنك لا تخرج من البيت كثيراً. حسناً، سنكون عندك في نحو السادسة. لا داعي لأن تذكر ذلك للرجل الأمريكي. جيد جداً، إلى اللقاء!

* * *

كان شفق المساء ربيعياً جميلاً، وقد بدا شارع ليتل رايدر (وهو واحد من الشوارع الصغيرة المتفرعة من طريق إدْجوير) ذهبياً رائعاً في ضوء أشعة الشمس التي تقترب من الغياب، أما المبنى الذي اتجهنا إليه فقد كان ضخماً قديم الطراز من

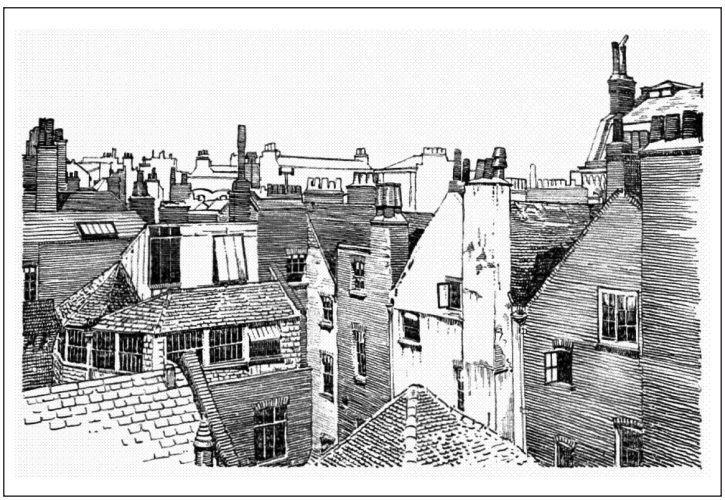

العصر الجورجي، له واجهة إسمنتية مسطحة لا تتخللها إلا نافذتان ناتئتان في الطابق الأرضي، وهو الطابق الذي يسكن فيه رجلنا. وبالفعل فقد تبين أن تلك النوافذ السفلى هي واجهة الغرفة الضخمة التي يُمضي بها ساعات استيقاظه.

أشار هولمز في أثناء عبورنا إلى اللوحة النحاسية التي حملت الاسم الغريب، وقال وهو يشير إلى سطحها الذي تغير لونه: لقد مضت عليها سنوات يا واطسون. إنه اسمه الحقيقي فيما يبدو، وهو أمر جدير بالملاحظة.

كان للمنزل درَج مشترَك، ورأينا في الرواق عدداً من الأسماء المعلقة، بعضها يشير إلى مكاتب وبعضها إلى مساكن خاصة.

فتح موكِّلنا البابَ بنفسه واعتذر بقوله إن المرأة المسؤولة غادرت عند الساعة الرابعة. تبين أن السيد ناثان غاريدب شخص طويل جداً مَحنيّ الظهر نحيل أصلع، وقد تجاوز عمره الستين بقليل، أما وجهه فقد كان شاحباً شحوب الموتى وكانت بشرته باهتة ميتة كبشرة رجل لم تعرف التمارين الرياضية طريقاً إليه. اجتمعت نظارته الكبيرة المستديرة ولحيته الناتئة مع انحناءة جسمه لتُكسِبه تعبيراً ينمّ عن الفضول الواضح، وبشكل عام كان شخصاً لطيفاً رغم غرابة أطواره.

كانت الغرفة على درجة من الغرابة كساكنها، إذ بدت كمتحف صغير! وهي غرفة عريضة ممتدة طولياً، تنتشر فيها خزائن مزدحمة بعيّنات جيولوجية وتشريحية، وقد أحاطت

بمدخل الغرفة من الجانبَين صناديقُ تحتوي على فراشات وحشرات، وفي وسطها طاولة مربعة عليها مِجهر كبير.

عندما فحصت الغرفة بعينيّ أدهشتني الاهتماماتُ العلمية المتنوعة للرجل، فهنا صندوق من العملات القديمة، وهناك خزانة من أدوات الصوّان، وخلف الطاولة الوسطى خزانة كبيرة لأحافير عظميّة، وفوقها صف من الجماجم الجصّية طبعت تحتها أسماء غريبة... كان واضحاً أنه باحث في موضوعات عديدة.

قال مخاطباً هولمز: ستجد كرسياً هنا يا سيد هولمز.

رسم جون فلاناغان (١٩٢٥) John R. Flanagan (1925)

اسمح لي برفع هذه العظام رجاء. وأنت يا سيدي... آه، نعم، الدكتور واطسون، إذا تكرمت بوضع المزهرية اليابانية جانباً. أنتما تلاحظان الآن اهتماماتي الصغيرة في الحياة. إن طبيبي يوبخني دائماً لعدم خروجي من المنزل، ولكن لماذا ينبغي عليّ الخروج عندما يكون لديّ الكثير ليُبقيني هنا؟ أستطيع أن أؤكد لكما أن عمل فهرس جيد لواحدة من هذه الخزائن سيستغرق مني ثلاثة أشهر كاملة.

نظر هولمز حوله بفضول وقال: ولكن هل تقول إنك لا تخرج أبداً؟

- إنني أزور قاعات مزاد سوذبي وكريستي بين حين وآخر. وما عدا ذلك فنادراً ما أغادر حجرتي. أنا لست قوياً جداً وأبحاثي تستغرق مني وقتاً طويلاً، ولكن يمكنك أن تتخيل يا سيد هولمز أي صدمة مروعة... سارّة ولكنها مروّعة، عندما سمعت بتلك الثروة الهائلة. لا نحتاج إلا رجلاً آخر من عائلة غاريدب لإنهاء الموضوع، ولا ريب أن بإمكاننا العثور على واحد. لديّ أخ ولكنه متوفى، والأقارب من النساء غير مؤهلات، ولكن لا بد أن يكون في العالَم آخرون. هذا السيد الأمريكي مُصيب تماماً بالطبع، وكان يجدر بي أن أستشيره أولاً، ولكني تصرفت على النحو الذي قدرته أفضل.

- أعتقد أنك تصرفت بكثير من الحكمة بالفعل، ولكن هل أنت توّاق حقاً لتملّك أراض في أمريكا؟

- بالتأكيد لا يا سيدي، لا شيء سيقنعني بترك

مجموعتي، ولكن ذلك السيد أكد لي أنه سيدفع لي بمجرد أن نبلغ هدفنا. إنه مبلغ هائل، خمسة ملايين دولار! في السوق حالياً مجموعة كبيرة من العينات يمكن أن تملأ فراغات في مجموعتي ولا أستطيع شراءها بسبب حاجتي لبضع مئات من الجنيهات، فتخيل ما يمكنني فعله بخمسة ملايين دولار! لديّ النواة لمجموعة دولية حقاً، سأكون أعظم جامع للتحف والآثار في العصر الحاضر!

لمعت عيناه خلف نظارته الكبيرة. كان واضحاً أن السيد ناثان غاريدب لن يألو جهداً في العثور على رجل آخر من عائلته نفسها.

قال هولمز: لقد جئت بهذه الزيارة القصيرة لأتعرف إليك فقط، ولا سبب يوجب مقاطعتي لأبحاثك. أريد أن أسألك بضعة أسئلة، فأنا أحمل في جيبي روايتك الواضحة جداً، وقد ملأت بعض الفراغات عندما زارنا ذلك الأمريكي. أفهم أنك لم تكن مدركاً لوجوده حتى هذا الأسبوع.

- هذا صحيح، لقد زارني الثلاثاء الماضي.

- هل أخبرك عن مقابلتنا اليوم؟

- نعم، فقد زارني بعدها مباشرة. كان قبلها غاضباً جداً.

- وما الذي استوجب غضبه؟

- لعله اعتقد أن في الأمر ما يقلل من قدره، ولكنه كان مبتهجاً إلى حد ما عندما عاد ثانية.

- هل اقترح اتخاذ أي إجراء؟

- لا يا سيدي، لم يفعل.

- هل أخذ أو طلب منك نقوداً؟

- لا ياسيدي.

- ألا ترى أي هدف محتمَل يسعى وراءه؟

- لا شيء سوى ما صرح به.

- هل أخبرته عن موعدنا هذا؟

- نعم يا سيدي، لقد فعلت.

شرد هولمز في أفكاره واستطعت أن أرى أنه كان متحيراً، ثم قال: هل لديك قطع ثمينة في مجموعتك؟

- لا يا سيدي، أنا لست رجلاً غنياً. إنها مجموعة جيدة، ولكنها ليست بالثمينة.

- ألا تخشى اللصوص؟

- على الإطلاق.

- كم مضى على وجودك في هذا المنزل؟

- خمس سنوات تقريباً.

قوطع استجواب هولمز بقرع مُلِحّ على الباب، وما كاد موكِّلنا يفتحه حتى اندفع الأمريكي داخل الغرفة وصاح وهو يلوح بورقة فوق رأسه: ها أنت هنا! ظننت أنني سأحظى بك

في الوقت المناسب. سيد ناثان غاريدب، تهانينا، أنت رجل غني يا سيدي؛ لقد انتهت مشكلتنا نهاية سعيدة وكل شيء على ما يرام. أما بالنسبة إليك يا سيد هولمز فيمكننا القول فقط إننا آسفون لأننا تسببنا لك بأية متاعب لا طائل من ورائها.

ثم قدم الورقة لموكلنا الذي وقف يحدق إلى إعلان أُشيرَ إليه بعلامة، وحنينا أنا وهولمز رأسينا إلى الأمام من فوق كتفه فقرأنا ما جاء فيه، وكان على النحو التالي:

هوارد غاريدب، متعهد آلات زراعية
والكشف عن الآبار الارتوازية.
مباني غروسفنر، أستون.

لهث مضيفنا قائلاً: رائع، هذا هو رجلنا الثالث!

ردّ الأمريكي: لقد بدأت باستعلامات في برمنغهام، فوصلني هذا الإعلان من صحيفة محلية. علينا أن نعجل وننجز هذا الأمر، وقد كتبت لهذا الرجل وأخبرته أنك ستراه في مكتبه غداً في الساعة الرابعة بعد الظهر.

- تريدني أنا أن أراه؟

- ما رأيك يا سيد هولمز؟ ألا تعتقد أن هذا سيكون أكثرَ حكمة؟ أنا أمريكي متجول بحكاية عجيبة، فما الذي سيجعله يصدق ما أقوله؟ ولكنك إنكليزي ولديك من يعرفك، وسوف يجد نفسه ملزَماً بأخذ كلامك بعين الاعتبار. أستطيع الذهاب معك إن شئت، ولكن نهاري حافل بالمشاغل غداً، وبإمكاني

أن ألحق بك إذا واجهت أية متاعب.

- في الواقع أنا لم أقم بمثل هذه الرحلة منذ سنوات.

- الأمر سهل يا سيد غاريدب، فقد رتبت أمر المواصلات. ستغادر عند الساعة الثانية عشرة فتصل هناك بعد الثانية بقليل، ثم يمكنك العودة في نفس الليلة. كل ما عليك فعله هو مقابلة الرجل وشرح المسألة له والحصول على شهادة خطية تُثبِت وجوده.

ثم أضاف بحرارة: يا إلهي! بالنظر إلى أنني قطعت كل الطريق من أمريكا إلى هنا فسيكون أمراً سهلاً بلا ريب أن تقطع مئة ميل لإتمام الأمر.

رد هولمز: وهو كذلك، أعتقد أن ما يقوله هذا السيد صحيح تماماً.

رفع السيد ناثان غاريدب كتفيه باغتمام وقال: حسناً، إذا كنتَ مصرّاً فسوف أذهب. من الصعب عليّ بالتأكيد أن أرفض لك أي طلب بالنظر إلى روعة الأمل الذي ضوّأتَ به حياتي.

قال هولمز: تم الاتفاق إذن، وبلا شك ستدعني أحصل على تقرير بما حدث في أقرب وقت ممكن.

أجاب الأمريكي: بالتأكيد. ثم أضاف وهو ينظر إلى ساعته: حسناً، يجب أن أذهب. سأمرّ عليك غداً يا سيد ناثان وأودّعك إلى برمنغهام. هل أوصلك يا سيد هولمز؟ حسناً إذن، إلى اللقاء، وقد نأتيك بأخبار جيدة غداً ليلاً.

لاحظت أن الانقباض زال عن وجه صديقي عندما غادر الأمريكي الغرفة، وتلاشت نظرته الحائرة المفكرة وقال: أتمنى لو كان بإمكاني أن ألقي نظرة على مجموعتك يا سيد غاريدب، ففي مهنتي تأتي كل أنواع المعارف الغريبة بفائدة، وغرفتك هذه مستودع هائل لها.

أشرق الرجل سروراً ولمعت عيناه خلف نظارته الكبيرة وقال: لقد سمعت يا سيدي أنك رجل ذكي جداً. أستطيع أن أجول بك عليها الآن إذا كان لديك وقت.

- لسوء الحظ ليس لديّ وقت، لكن هذه العينات مصنفة ومشار إليها بوضوح بما يُعرف عنها بحيث تحتاج بالكاد إلى تفسير منك شخصياً. إذا كان بإمكاني القدوم غداً فأعتقد أنه لن يكون لديك مانع من أن ألقي نظرة عليها.

- على الإطلاق، أنت على الرحب والسعة. سيكون المكان مغلَقاً بالطبع، ولكن السيدة ساوندرز ستكون في المبنى حتى الساعة الرابعة، وسوف تفتح لك الباب بمفتاحها.

- لحسن الحظ أنا متفرغ غداً بعد الظهر، فلو تكرمت بإخبار السيدة ساوندرز سيكون الأمر مرتّباً تماماً. بالمناسبة، من هو سمسار منزلك؟

دُهش موكلنا للسؤال المفاجئ وأجاب: «هالوي آند ستيل»، في طريق إدجوير. لماذا؟!

أجاب هولمز ضاحكاً: لأنني عالِم آثار إلى حد ما عندما

يتعلق الأمر بالمنازل. كنت أتساءل إن كان هذا البناء من عصر الملكة آن أو العصر الجورجي.

- إنه جورجي دون أدنى شك.

- حقاً؟ حسبت أنه أقدم عهداً من ذلك بقليل. على كل حال يمكن التحقق منه بسهولة. حسناً، إلى اللقاء يا سيد غاريدب، وعسى أن تلاقي كل النجاح في رحلتك إلى برمنغهام.

* * *

كان مكتب سمسار المنازل قريباً في الجوار، ولكنا وجدناه مقفَلاً فعدنا إلى منزلنا في شارع بيكر. ولم يرجع هولمز لذكر الموضوع إلى حين انتهينا من العشاء، قال: يبدو أن قضيتنا الصغيرة تقترب من خاتمتها. لا شك أنك وضعت الخطوط العريضة للحل في ذهنك.

- لا أستطيع أن أحدد الرأس منه أو الذيل.

- الرأس واضح بشكل كافٍ ولا ريب، أما الذيل فسوف نتبيّنه غداً. هل لاحظت أي شيء غريب حول الإعلان؟

- لاحظت فيها بعض الأخطاء الإملائية.

- آه، لاحظت هذا إذن؟ رائع يا واطسون، أنت تتحسن مع الوقت. أجل، لقد كانت لغة بريطانية سيئة، ولكنها أمريكية جيدة. وقد طبعها الطابع كما استلمها، فكانت النتيجة إعلاناً أمريكياً نموذجياً ولكن يُفهم منه ظاهرياً أنه من مؤسسة

إنكليزية. ما الذي تستنتجه من ذلك؟

- يمكنني فقط افتراض أن هذا المحامي الأمريكي قد وضعه بنفسه، أما هدفه من وراء ذلك فهو ما لا أستطيع فهمه.

- في الحقيقة توجَد تفسيرات عدة. على كل حال لقد أراد أن يبعث بهذا العجوز الطيب إلى برمنغهام، وهو أمر واضح جداً. كان بإمكاني أن أخبره بأنه ذاهب في مهمة عقيمة، ولكني وجدت بعد معاودة التفكير أن من الأفضل إخلاء المنزل وتركه يذهب. غداً يا واطسون... حسناً، سيتكلم الغد عن نفسه.

* * *

استيقظ هولمز وخرج باكراً، وعندما عاد وقت الغداء لاحظت على وجهه تعابير في غاية الجِدّ والقلق. قال: هذه المسألة أكثر خطورة مما ظننت يا واطسون. من العدل أن أخبرك بهذا، رغم معرفتي بأنه لن يكون إلا سبباً إضافياً لإقحامك في الخطر، فيُفترض بي أن أعرف صديقي بعد كل هذا الوقت. ولكن الخطر موجود، وهو ما يجدر بك أن تعرفه.

- ليس هذا أول خطر نواجهه معاً يا هولمز، وأرجو أن لا يكون الأخير. ما الخطر بالذات هذه المرة؟

- نحن في مواجهة قضية خطيرة جداً. لقد تحققتُ من شخصية السيد جون غاريدب، المستشار القانوني المزعوم، وهو ليس إلا إيفانز، القاتل الشرير الذائع الصيت.

- أخشى أنني لست مطلعاً على حالته، لم أتذكر عنه أي شيء على الإطلاق.

- آه، نعم، فليس جزءاً من مهنتك أن تحمل فهرساً متنقلاً لسجن لندن في ذاكرتك. لقد ذهبت لرؤية صديقي ليستراد في إدارة سكُتلنديارْد، وهو -وإن كان بحاجة إلى بعض الحدس التخيلي بين الحين والآخر- يملك الرؤية الشمولية والمنهجية، ولهذا فقد روادتني فكرة تعقب أثر هذا الأمريكي في سجلاته. وبكل سهولة وجدت وجهه السمين ينظر إليّ مبتسماً من فهرس صور الأوغاد، وقد كُتِب تحت صورته «جيمس ونتر، المعروف باسم موركروفت، الملقب بإيفانز القاتل».

أخرج هولمز ورقة من جيبه وأضاف: لقد دوّنت على عجل بضع نقاط من ملفه: عمره أربعة وأربعون عاماً، من مواليد شيكاغو، عُرف عنه قتل ثلاثة رجال بالرصاص في الولايات المتحدة الأمريكية، وأفلت من العقوبة بسبب ثغرات قانونية. جاء إلى لندن عام ١٨٩٣، قتل رجلاً بالرصاص في لعبة قمار في نادٍ ليلي في طريق واترلو في كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٩٥. مات الرجل، وقد تبين أنه هو من بدأ بالهجوم، وتم التعرف على الرجل الميت وتبين أنه روجر برسكوت، مزور العملات الشهير في شيكاغو. أُطلقَ إيفانز من السجن عام ١٩٠١ وبقي تحت مراقبة الشرطة منذ ذلك الحين، ولكنه عاش حياة نزيهة حتى الآن. إنه رجل خطير جداً، عادة ما يحمل السلاح وهو مهيأ لاستعماله. ذاك هو طيرنا يا واطسون، طيرٌ خطير ماكر كما ترى.

- ولكن ما لعبته؟

- الواقع أنها بدأت بالانكشاف. لقد ذهبتُ إلى سمار المنزل وأخبرني أن موكلنا (كما أخبرنا هو بنفسه) قد عاش في المنزل منذ خمس سنوات، وقبل ذلك بقي المنزل خالياً غير مؤجَّر لنحو سنة. أما المستأجر السابق فهو سيد اسمه والدرون كما يبدو، وقد تذكروا شكله جيداً في المكتب. اختفى فجأة ولم يُسمَع عنه أي شيء بعدها. كان رجلاً طويلاً ملتحياً أسمر. وللعلم فإن برسكوت (الرجل الذي قتله إيفانز) كان -حسب سجلات سكتلنديارد- رجلاً طويلاً أسمر ملتحياً. يمكننا الآن الافتراض بأن ببأن ن برسكوت المجرم الأمريكي كان يسكن في الغرفة عينها التي يكرسها الآن صديقنا البريء لمتحفه، وهكذا نحصل في النهاية على حلقة وصل كما ترى.

- والحلقة التالية؟

- علينا أن نذهب الآن لاكتشافها.

أخرج من الدرج مسدساً وقدمه إليّ قائلاً: أما أنا فأحمل معي مسدسي القديم المفضل. إذا حاول صديقنا من الغرب الأمريكي الضاري أن يتصرف بما يتفق مع لقبه فعلينا أن نكون مستعدين له. سأمنحك ساعة للقيلولة يا واطسون، وبعدها يَحين وقتُ مغامرتنا في شارع رايدر.

* * *

كانت الساعة الرابعة تماماً عندما وصلنا لشقة ناثان

غاريدب الغريبة. كانت السيدة ساوندرز مشرفة البيت على وشك المغادرة، ولكنها لم تتردد في إدخالنا، وقد وعد هولمز بالتأكد من إغلاق الباب قبل مغادرتنا. بعدها بقليل أُغلق الباب الخارجي وظهر رأس قبعتها من النافذة وهي تعبر من أمامها، وهكذا أصبحنا بمفردنا في المنزل.

فحص هولمز المحتويات على عجل. كانت هناك خزانة واحدة في زاوية معتمة وقد ابتعدَت بمقدار ضئيل عن الجدار، وهي الخزانة التي جثمنا خلفها أخيراً في حين همس هولمز إليّ بما هو عازم عليه قائلاً: لقد أراد إبعاد صديقنا اللطيف عن غرفته، هذا واضح جداً، وحيث إن جامع التحف هذا لا يخرج من بيته أبداً فقد لزم بعضُ التخطيط لإجباره على ذلك. كل قصة غاريدب الملفقة هذه كانت من أجل ذلك كما يبدو، ولكن ينبغي عليّ القول إن فيها شيئاً من البراعة الشيطانية يا واطسون، فحتى لو كان الاسم الغريب للمستأجر قد أوحى إليه بتلك الفكرة التي ما كان ليتوقعها هو نفسه، إلا أنه قد رسم خطته بمكر لافت.

- ولكن ما الذي أراده؟

- هذا ما نحن على وشك اكتشافه الآن، وهو شيء لا علاقة له البتة بموكلنا بقدر فهمي للمسألة حتى الآن. إنه أمر متصل بالرجل الذي قتله، وربما كان شريكاً له في الإجرام. هناك سر أثيم في هذه الغرفة، هكذا أقرأ الوضع. في البداية ظننت أن مجموعة موكلنا ربما احتوت على شيء أكثر قيمة

مما اعتقده هو، شيء يستحق انتباه مجرم كبير، ولكن حقيقة أن روجر برسكوت الشرير سكن هذه الحجرة ذات يوم تشير إلى سبب أكثر غموضاً. حسناً يا واطسون، ليس علينا الآن إلا أن نصبر وننظر ما تأتي به الساعة.

لم يَطُل انتظارنا. جثمنا في الظلمة، وتقاربنا أكثر عندما سمعنا الباب الخارجي يُفتَح ويُغلق، ومن ثَمّ تناهى إلى أسماعنا صوتٌ حاد لانتزاع مفتاح من قفل، ورأينا الأمريكي في الغرفة. أغلق الباب خلفه بلطف وألقى حوله نظرة سريعة فاحصة ليطمئن أن كل شيء آمن، ثم ألقى معطفه وسار إلى الطاولة الوسطى بخفّة وسرعة مَن يدرك تماماً ما عليه فعله. أزاح الطاولة جانباً ورفع السجادة المربعة التي كانت تحتها ولفّها إلى الخلف، ثم سحب عتلة صغيرة من جيبه الداخلي وجثا على الأرض وعمل بنشاط... بعد قليل سمعنا صوت ألواح خشبية تنزلق، وبعدها بلحظة انفتح فيها تجويف. أشعل إيفانز القاتل عود ثقاب أنارَ به عقب شمعة، ثم اختفى عن نظرنا.

بات واضحاً أن لحظتنا المناسبة قد حانت. لمس هولمز معصمي بإشارة منه، فمشينا معاً بخلسة عبر الغرفة إلى باب القبو المفتوح.

لا بد أن الأرضية القديمة أصدرت صريراً تحت قدمَينا، رغم أننا تحركنا بلطف، فقد نتأ رأس الأمريكي فجأة من القبو المفتوح وهو ينعم النظر حوله بقلق. استدار وجهه ناحيتنا وهو

يحملق إلينا بنظرة غضب مهتاجة مرتبكة، ما لبثت أن لانت وتحولت إلى ابتسامة عريضة خجولة حالما لاحظ المسدسين المصوبَين إلى رأسه.

قال ببرود وهو يزحف متسلقاً إلى السطح: عجباً، أحسب أني ما كنت لأقدر على مجاراتك يا سيد هولمز. لقد كشفتَ لعبتي كما أفترضُ ولعبتَ عليّ دور المغفل منذ البداية. حسناً يا سيدي، سأجعل الأمر بيدك، دعني أحرز الـ...

وفي لحظة واحدة كان قد تناول مسدسه بخفة من صدره وأطلق رصاصتين! شعرتُ بسفعة حارة مفاجئة وكأن مكواة حامية ضُغطت على فخذي، ثم سمعت صوت ارتطام عندما هوى هولمز بمسدسه على رأس الرجل، ولاحت أمامي صورته وهو ينبطح على الأرض والدم يسيل على وجهه، في حين فتشه هولمز بدقة بحثاً عن سلاح، ثم أحاطت بي ذراعا صديقي النحيلتان وهو يقودني إلى الكرسي قائلاً: هل أنت بخير يا واطسون؟ بالله عليك قُلْ إنك لم تُصَب بأذى!

لقد استحق الأمر جرحاً بالرصاص لكي أعرف عمق الولاء والحب الكامنَين خلف ذلك القناع البارد! فعيناه الصافيتان الصارمتان أعتمتا للحظة، وشفتاه الراسختان كانتا ترتعشان، وللمرة الأولى والوحيدة أدركت لمحة من القلب الكبير كالعقل الكبير. كل سنوات خدمتي المتواضعة والمخلصة تُوِّجَت في لحظة البَوح تلك.

قلت مُطَمْئناً: إنه أمر بسيط يا هولمز، مجرد خدش.

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون قد استمتعت بقراءة جزء من هذه المجموعة القصصية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذا الكتاب (وسواه من الإصدارات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com